

لُغَةُ الْعَرَبِ

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ إِدْبِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ

الجزء ٩ من السنة ٢ عن ربيع الثاني سنة ١٣٣١ - آذار ١٩١٣

﴿ صرعى الكُتب والمكتبات في العراق ﴾

Bibliomanes et Bibliophiles de Mésopotamie.

لا يعرف على التحقيق الزمن الأول الذي دوت الكُتب فيه
واقنناها الناس على هذه الصورة أو ما يشبهها حسب اختلاف العصور غير
أنا نعلم أنه قد قارن عهد وجود الكُتب وجود أناس فتنوا بها وسحرتهم
فبالغوا في جمعها وفي الضئنة بها وقد تألقوا في نسخها ووراثتها وتجليدها
وتنضيدها وتحليتها بما لا مزيد فوقه. وربما كان بعض جماعة الكُتب من
غير قرائنها ولا من المندبرين لها ولكنه أولع بها فوجد مع جهله لذة في
اقتنائها وارتياحاً إلى الازدياد منها وطيب نفس لا للاستفادة ولكن لمجرد
افتتاحها وانطباقها واللغو بها كما كان يفعل أحد جماعة الكُتب من الفرس
في النجف على عهد غير بعيد وقد كانت اليد الطولى للفرس في بث روح
المغالاة بالكُتب بين أهل العراق وذلك على عهد هبوطهم هذه الديار
وانتباهم إياها لطلب العلم أو للجوار وفيهم أولاد العلماء والملوك وأهل الجاه
والثروة فحملوا إليها خزائن الكُتب من بلادهم غير ما جمعوه بعد تمكّنهم في

هذه البلاد وغير ما حمل اليهم من بلاد الهند وغيرها. هذا غير ما كان
 لایران من الفضل في طبع الكتب التي لاقع تحت حصر من علمية على
 تشعب فنون العلم ودينه على اختلاف فروع الدين وكلها تحمل الى العراق
 اوالى التجف حيث اطمأن العلم والعلماء وشهدت المدارس وانتشئت بيوت
 الكتب الكبيرة فاقدم اذ ذاك عامة الناس على ابتاعها وكان قد نبغ
 اثناء ذلك قوم معروفون اولعوا بجمع الكتب وشغفوا بحبها وبينهم
 فريق من ابناء الملوك والعلماء وذوو الاسر والبيوت الاصلية وآخرون
 من الدهماء خلقوا لنصرهم الكتب فعكفوا على نشدانها وطلبها من مظانها
 فبسر لم جمع ما ليس باليسير منها ومن هؤلاء من ادر كنهم في زماننا هذا
 كالشيخ « الملا باقر التستري » المتوفى في التجف ١٢٢٩ هـ فانه كان مفصولاً
 بجمع الكتب فنته قل ان تعهد في غيره وكان اذا قدم الى « معرض
 الكتب » في التجف كتاب مخطوط بذل النفس والنفيس في سبيله على
 قلة ذات يده وربما تملق لمن يتنافس في الكتاب تملقاً لا مزيد عليه حين
 « المناذاة » على بيعه وقد يقبل المنافس ويتعلق به ليترك له طلبه قال
 بعضهم نafسته يوماً في كتاب و « المناذي » ينادي عليه فسألني تركه فما
 كان منه الا ان امسكني بيده قائلاً وقد تغيرت اما تغشى الله؟ وله نوادر
 جمة في باب اقتناء الكتب وقد جاور زماناً بمكة واتصل بالشریف هناك
 واقتنى قسماً من كتبه المخطوطة فيها وله الى ايران رحلات كان ام
 ما يحمله عليها جمع الاثار ولقد حصل باجتهاده على امهات الكتب النفيسة
 القديمة على اختلاف موضوعاتها وقد شاهدنا بينها كتب الدين والفلسفة

والفلك والرياضيات والشعر والتاريخ والعربية وكان اذا اقتنى كتاباً كتب عليه بخطه بديع «المختار محمد الباقر» وخط معروف يشار اليه عند الصحفيين وفي اسواق الكتب ومعارضها ولا عرضت كتبه للبيع^{١٣٢١} وكان فيها أكثر من ألف مجلد مخطوط نوادي عليها عدة اسابيع وكنت ممن يحضر المناداة فشاهدت فيها شاهدت ما يدهش التأمل من آثار نادرة في بابها ونفائس مخطوطات قليلة الوقوع حتى في امهات بيوت الكتب الكبيرة في العالم وذلك مثل كتاب «مشارق الانوار» للقاضي عياض الذي كان يظن انه اصبح اثرًا بعد عين وكتاب «العين» للخليل الفراهيدي وكتاب «الزينة» لابي حاتم وكتاب «غريب ابي عبيدة» وكتاب «طبقات الفقهاء» وشرح «تذكرة الطوسي» في الفلك للفخري وشرحها ايضاً للسيد الشريف وقد ملكتها «القول المأثور» وهو وجيز حاشية على القاموس وغير ذلك من شواذ الاسفار الكبيرة التي لم تمثل بعد للطبع ك بعض مؤلفات الثعالبي المعروف ووقفت ايضاً بين كتبه على كتاب «وفيات الاعيان» بخط مؤلفه قاضي القضاة ابن خلكان هذا عدا ما لا اقدر ان آتي عليه في هذه المقالة وبالجملة ذهبت كتبه بثمان بخس وييمت بصفقة خاسرة ولو نوادي على هذه الكتب في اسواق الغرب لذهبت بزمتها لجنباً على ان مبتاعها غير مغبون .

ومن عرف في النجف من الصلاة في اقتناء الكتب العالم المحدث الكبير الشيخ «ميرزا حسين النوري» الطهراني المتوفى قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً فقد كان متعلقاً بجميع المخطوطات متفانياً في احراز

نفائس الآثار وله نوادر غريبة في هذا السيل تدل على شديد افتتانه وعظيم بلائه بها منها انه وجد يوماً في سوق من اسواق كربلاء كتاباً كان ينشده عند امرأة فاستباعها واستامها عليه فارضاها ويظهر انه كان ذا دلاً لشوره نبأ على ضالته فانه لما اراد ايفاءها ثمن الكتاب لم يجد عنده شيئاً ولكنه بادر فخلع حلة ثينة كانت على منه وباعها في سوق كاسدية بثمان تافه يسير واخذ الكتاب من صاحبه بهذه اللجاجة الغريبة وبالجملة كانت خزانة كتبه من اخنل خزائن الكتب الكبيرة ويحكى انه كان في جملة مخطوطاتها الف مجلد عليها خطوط مؤلفها وهذا ما لم يتفق حتى في خزائن كتب الملوك في القرون الاخيرة فانا نعرف اميراً من امراء الهند لم يجمع غير سبعمائة مجلد عليها خطوط المؤلفين وقد كان رحمه الله مصلحاً سالكا سبيل السلف الصالح وعالماً مؤلفاً حريصاً على نشر العلم ولذلك لم يوصد باب خزائنه في وجوه الطلاب ولم يمتنع ان يعير كتبه من يستفيد بها من الناس كما يفعل كثير من كنز الكتب وقبض عليها قبضة الشحيح وخصوصاً العامة من جماعتها فانهم لم يذوقوا لذة العلم ولا حلموا بالمعرفة ليهون عليهم بذل اسفارهم في سيلها وعلى العكس من ذلك رجل صرعه الكتب وهو قد رضع افويق العلم وخلصت نيته في نشره فانا كثيراً ما سمعنا عن السلف الصالحاء انهم حبسوا كتبهم حبساً عاماً على من يتنفع بها من الناس ويؤثر عن بعضهم قوله :

ان زكاة الكتاب عاريته

ويوجد اليوم في النجف من العلماء المطبوعين على حب الكتب

ونفقد الانار الجامعين لها جماعة منهم الشيخ الفاضل الرفيع القدر الغريب
 الصبر والثبات « الشيخ علي » من آل كاشف الغطاء وهو الرجل الذي
 لا يرعى الا مجدداً في النسخ والتأليف او عاكفاً على المطالعة اولهجاً يجمع
 الكتب وذكرها بقص عليك احاديثها ويصف لك مظاهرها وجودها ويترجم
 لك احوال صرعاها وجاعتها وقد كانت نفسه الكبيرة حملته على الرحلة
 فحباب بلاد الفرس وبلاد الترك وبلاد مصر وسوريا والحجاز ولم تكن رحلته
 هذه رحلة تسلية وتفكهة لابل كانت اشبه برحلات متبعي العلم والرواية
 من السلف الصالح فانه كان اذا حط رحله في بلد وجه همه الى زيارة
 معاهده العلمية والوقوف على دور كتبه المهمة هكذا كان في مصر والشام
 والاسنانة وقد انقن في هذه العاصمة اللغة التركية فشافه كبار ساستها
 وعلمائها ولم يبق فيها بيتاً من بيوت الكتب الا زاره واستفاد منه وكان
 اذا اعجبه كتاب لم يكر عليه نسخة واكتابه وان كبر كما فعل يوم كان
 في الاسنانة فانه انتسخ فيها لنفسه بنفسه اسفاراً جمّة منها كتاب « شرح
 ابي تمام على مهاجاة جرير والاخلطل » وقد وجدته منتسخاً بالخط المغربي
 القديم وهو خط معنى يجهل المشارقة تهجته فعكف اياماً على تفهمه
 ومحاكاته بقله حتى اتقنه فلم يصعب عليه بعد ذلك انتساخ الكتاب ونسخ
 ايضاً ديواني « مهيّار » و « كشاحم » ولم يكونا يومئذ مطبوعين وبفضله
 طبع الاخير على نسخته التي انتسخها لنفسه وهمته في الصبر على الكتابة
 مشهودة حتى انه تناول كتاب « امالي القاضي » قبل طبعه وعكف على
 نسخه في عدة اسابيع وكان الوفاء منتشرأ حيث اقام فلم يعقه ذلك عن مقصده

وما نسخته لنفسه كتاب «نسمة السحري من تشيم وشعر» وهو كتاب نادر الوجود قل من سمع به ونسخ كتاب «رسائل ابن العميد» الكتاب المعروف وهو يقع في مجلدين ضخيم ونسخ غير ما رأيت بهمة غريبة وجد متواصل حتى انه لو اقتصر على ما ورثه بيده لحصل على خزانه كتب حافلة لكنه لم يقتصر على ذلك واخذ يتطلب الكتب النادرة ويتاعها وساعده على نجاح قصده تجواله في البلاد فاشترى من الاستانة وغيرها من البلاد التي عرج عليها كتباً نفيسة مخطوطة ومطبوعة فاجتمعت له خزانه كتب لا تزال من امهات خزائن الكتب العربية وفيها المخطوطات الكثيرة في كثير من الفنون وبعض نسخها قل ان يعرف لها ثانٍ مثل ديوان الشاعر المشهور «الحسين بن الحجاج» العراقي صاحب الدعابة والمجون ومثل كتاب (الطراز) في اللغة للسيد علي خان الاديب المعروف صاحب سلافة العصر وانوار الربيع وديوان (مهياري) الديلمي تاماً او قريباً من التمام وديوان السيد الشريف المرتضى وعشرات من اسفار العلم والادب الشاذة سلف ذكر بعضها ثم انه لم يقف عند جمع الكتب والتقاط آثارها او انتساخها بقلمه فمكف على الكتابة في الادب والتأليف فيه وقد نجز إلى الان من مؤلفاته كتاب (فصل الخطاب في الكتابة والكتاب والكتاب) مخطوطاً في مجلدين ضخمين وهو كتاب جامع لم يسبق مؤلف الى افرائه بهذا القالب البديع وقد استعان على تأليفه بما وفق لجمعه ونسخه من الكتب وبما حدث على عهده او ما قبله بقليل مما يدخل في موضوع كتابه وقد ملحه بشذرات من الكتب العلمية الحديثة فجاء كتاباً متمماً جامعاً لفنون المعاني حافلاً بضروب المقاصد وقد استلاني منه فصل معجب جاء

المؤلف فيه على وصف دور الكتب التي وقف عليها وائتني اليه وصفها سواء كانت في بلاد العراق بلاده او في غيرها من البلاد التي جابها في رحلته وقد كان بودنا ان ننقل هذا الفصل عن هذا الكتاب لما كان مناسبته لموضوع المقالة لولا ان ضيق نطاق الوقت حال دون ذلك ونحن اذا عنت الفرصة فاعلون. ومن مؤلفات هذا الشيخ الكبيرة التي وقف لها حياته كتاب (طبقات الشيعة) على اختلاف العصور وعلى تباين الاحوال فمن طبقات روايتهم ومحدثيهم وحمله اخبارهم الى طبقات علمائهم وكتابتهم وشعرائهم وطبقات ملوكهم ووزرائهم وامراءهم وقد نجز الى الآن قسم كبير منه يقع في عدة مجلدات وهو دائب السعي وراء انما متصل الاجتهاد في سبيل انجازه واذا تم كان اكبر خدمة لهذه الطائفة الاسلامية العظيمة الشأن التي قلما انصرف رجالها وخصوصاً المتأخرين منهم الى وجوه التاريخ وتدوين آثار اسلافهم ومعاصريهم انصرف اهل السنة من اخوانهم المتقدمين والمتأخرين وبالجملة ان حياة هذا الرجل حياة جد وعمل متصلين ونعمت الحياة. ومن صرعي الكتب في التجف اليوم الشيخ (محمد علي الخونساري) فانه مبالغ في اقتناء الكتب وخصوصاً النادر منها وقد جمع عدداً غير يسير منها ومن مخطوطاته قسم كبير في الفلسفة القديمة ومنهم السيد (محمد) اليزدي فان لديه خزانه كتب خطيرة حوت كثيراً من الامهات مثل كتاب (غريب ابي عبيدة) مخطوطاً في القرن الخامس على ما اظن وكتاب (المجمل) في اللغة لابن فارس وغيرها كثير.

ومن عشاق الكتب في العراق وجماعها السيد > حسن صدر الدين

العالمي « العالم المعروف في الكاظمية فقد انتسأله طلبه الخيٲ لها خزانة كتب مهمة يتنها قسم كبير من الآثار النادرة ككتاب « العين » وكتاب « الجمهرة » لابن دريد فيها وكتاب « طبقات القراء » ولا نعرف لمن هو فقد الف جماعة من العلماء في هذا الباب وفيها غير ذلك من نفائس المخطوطات والرجل ممن اشتهر بالتأليف وقد نبجز إلى الآن على يده كتاب « تأسيس الشيعة » وهو كتاب تاريخي ادبي جم الفائدة بعثت صاحبه الغيرة على الطائفة فالف كتاباً دل به على سبقها الفرق الاسلامية في التأليف وانبعاثها قبلها الى تأسيس العلوم والفنون ولا يزال كتابه هذا مخطوطاً وبسمي مؤلفه طبع كتاب « المجازات النبوية » للسيد الرضي في بغداد سنة ١٣٢٩ هـ وللسيد هذا غير ذلك الكتاب مؤلفات في الموضوعات الدينية والتاريخية ويوجد اليوم في هذه البلاد رجال آخرون من صرعى الكتب لم نذكرهم لضيق المجال

التبجي

محمد رضا الشبيبي

✽ طبرستان القديمة ✽

٥٠٦ تهيد البعث

نقدم القول عن موقع اطلال طبرستان في الزمن الحالي وآراء الباحثين من اشتهروا بطول الباع وبعد النظر في المسائل الاثرية فيما كان لهذه المدينة القديمة العهد في القرن الماضي من الآثار الخطيرة المؤيدة لحدودها والناطقة بخطورة شأنها هذا بعد ان اشبعنا تلك الاقاويل حججاً دامنة وبراهين قاطعة وهل هناك ادلة وامارات اقطع من تلك الادلة والامارات، لان بعدها